

## دراسة موجزة لمخطوط جزائري لـ "عبد القادر الراشدي القسنطيني"

أ: ساعد خميسي  
جامعة منتوري - قسنطينة.



صدر بدار الغرب الإسلامي ببيروت، لبنان، كتاب للأستاذ الدكتور "عبد الله حمادي" الرئيس السابق لاتحاد الكتاب الجزائريين، والأستاذ بجامعة قسنطينة. الكتاب عبارة عن دراسة و تحقيق لمخطوط يعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر، وهو رسالة عنوانها: "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" لصاحبها: "عبد القادر الراشدي القسنطيني" المتوفى سنة 1780م .

كما تأتي هذه الدراسة أيضا إشارة صريحة من المحقق الأستاذ "حمادي" إلى ضرورة التنقيب و التفتيش و البحث في تراثنا الذي يزر بكنوز تحتاج إلى من يخرجها من تحت الأنقاض والركام الذي أطبق عليها بفعل عوامل تفاعلت و تحالفت لتطمسها وتوقع بها في غياهب النسيان والظلم والجهل .

تعرض الأستاذ "حمادي" في القسم الأول من الكتاب - كما أشرنا من قبل - إلى بيئة الراشدي التاريخية والثقافية، متحدثا عن مدينة قسنطينة خاصة، وعن مكانتها في العهد العثماني مبينا بأنها مدينة عتيقة عريقة علا شأنها كثيرا في عهد الدولة الحفصية، مما جعلها محط أطماع الغزاة، ولقسنطينة حكاية متميزة مع الأتراك الذين أرادوا دخولها عنوة، فواجهوا حصونا منيعة و دافعا مستميتا من أهلها، مما اضطرهم - أي الأتراك - إلى محاصرتها مدة طويلة، أنهكت قوى القسنطينيين وتدهورت حالهم حتى انتشرت بينهم الأوبئة و الأمراض الفتاكة كالطاعون، وهو الأمر الذي دفع بوجهائها إلى

يقع الكتاب في 224 صفحة، من الحجم المتوسط، يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام، أحاط الأستاذ "عبد الله حمادي" في القسم الأول منه بالجانين التاريخي والثقافي لمدينة قسنطينة في عهد المؤلف وكذا ببيوغرافية صاحب الرسالة: (مولده، نسبه، ثقافته، مؤلفاته والمحنة التي مرّ بها) وفي القسم الثاني من الكتاب قدّم لنا المحقق نظرة تفصيلية لمحتويات الرسالة مع دراسة تحليلية نقدية لمنهجها ولمضامينها، بينما في القسم الثالث نقرأ النص الكامل لرسالة "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" مع تحقيق دقيق لها وشرحات ضافية بهامشها .

إن القارئ لهذا الكتاب والمتمعن في أقسامه الثلاثة يلاحظ - بدون شك - إنه: دراسة تأتي في مجملها لتتخطى المضمون الفقهي للرسالة (المخطوط)، وتتجاوز هدف مؤلفها الأول، الذي أراد أن يصدر حكما في نازلة بعينها، إلى دراسة علمية أكاديمية لمخطوط جزائري، قسنطيني، ألف في فترة نحسبها فترة ضعف وخمول فكري مطبق خال من التواليف.

تصاعد نجم الراشدي وهو يخوض الصراعات والمعارك الفكرية الضارية على مختلف الجبهات: الصوفية، الكلامية، والفقهية... فلقد واجه المتصوفة ممثلين في مشايخ طرقهم وأتباعهم، كما خاض صراعات كلامية عقدية مع الأشاعرة، الماتوريديّة، والمعتزلة، وحتى مع أهل الظاهر من النصيين، وفي الفقه خاض صراعا بين المالكية والحنفية المذهب الرسمي للأتراك.

إن حياة الراشدي في ظل هذه الصراعات لم تكن بمنأى عن الفتن والمكائد والدسائس التي ألقنا تعرض علمائنا لها عبر مختلف مراحل تاريخنا الحافل بقصص ونوادير عن اضطهاد العلماء بسجنهم أو تشريدهم، أو تقتيلهم، أو على الأقل الإقلال والخط من شأنهم، ونسيانهم وعدم الاكتراث بهم وبما ينتجون، أو يقولون، كما هو حالهم اليوم.

إذن كغيره من علماء المسلمين تعرض الراشدي إلى محنة أوردتها الدكتور "عبد الله حمادي" في دراسته هذه تحت عنوان فرعي: "محنة عبد القادر الراشدي القسطنطيني"، مستهلا إياها بأنها ظاهرة تطبعت مدينتنا عليها وأصبحت من خصالها ومن خصال بلدنا ككل، فكثير من العلماء تعرض لحن شاقة واضطهدوا في أوطانهم الأصلية، في الوقت الذي لقوا فيه كل العناية والترحاب في المشرق مثلا، لكن هذا لا يعني بالضرورة أن الشرق كان يخلو من اضطهاد العلماء، فالتاريخ يروي مقتل الحلاج ونفي ابن سينا، وسجن ابن تيمية وحرق كتب العلماء... وقد يرجع سبب هذه الظاهرة إلى

الدخول مع الأتراك في مفاوضات حمل لواءها عائلة "ابن لفقون" ممثلة في شخص "عبد الكريم" الذي دعا سكان قسطنطينة إلى الانضواء تحت لواء الأتراك مبررا دعواه هذه بأنها ليست دعوة المنهزم المستسلم، وإنما دعوة الراضي بحكم العثمانيين، باعتبارهم حاملي لواء الخلافة الإسلامية.

واستجاب سكان قسطنطينة لهذه الدعوة بالقبول، ولكن بالرغم من ذلك ظل الأتراك خارج قسطنطينة سبع سنين، وظل القسطنطيون يسيرون شؤونهم بأنفسهم، واستمرت هذه الاستقلالية في التسيير بالرغم من دخول الأتراك قسطنطينة، فالباي ظل يُعين في قسطنطينة بالشورى، ولا يفرض عليها "فقسطنطينة كانت من المقاطعات الفريدة، التي حظيت بمعاملة عثمانية خاصة حيث أن غالبية باياتها كانوا من أصل عربي، وقليلون هم أولئك الذين من أصل كرغلي أو تركي". ومن هنا دخلت قسطنطينة مرحلة جديدة استتب فيها الأمن والاستقرار، مما وفر لها أسباب الإزدهار، ويعكس إزدهارها كثرة علمائها وكثرة مؤلفاتهم، فمن علمائها على سبيل المثال لا الحصر: "ابن لفقون" و"محمدي بن أحمد القسطنطيني" (ابن الكماء) ت 1116هـ، وغيرهما ك: "عبد القادر الراشدي القسطنطيني". "عبد القادر الراشدي القسطنطيني" هو واحد من الذين عاشوا وعایشوا استقرار المدينة وازدهارها في ظل النظام العثماني كشاهد عصره، فهو المجتهد الأصولي، وعالم الكلام، يصفه الورتلاني كما يورد ذلك "عبد الله حمادي" بأنه: "قاضي الجماعة، النحوي، المتكلم، الأصولي، المنطقي، البياني، المحدث المفسر".

شخص واحد من جهة، ولأن الدكتور "عبد الله حمادي" يورد لنا نصا للراشدي يصرح فيه بأنه سني أقرب إلى مذهب السلف، بعيد عن أي تأويل أو تغليب للعقل عن النص، حيث يقول نظما:

خبرا عني المؤول أنني كافر بالذي القول  
و شخصا أظن أن هذه التهم الموجهة إلى  
الراشدي لا تنم إلا عن جهل بحقائق الفرق  
الكلامية بحيث يقذف الرجل هكذا جزافا  
بالنعوت و الانتماءات إلى فرق متباينة المناهج و  
الآراء، أو يفهم منها أن الاتجاهات و الفرق التي  
نُسب إليها الراشدي كانت منبوذة مرفوضة في  
قسنطينة ذلك الزمان، أو تعود إلى ضعف المرحلة  
ككل و هو ما قد يتعارض مع طرح الأستاذ  
حمادي من أن المدينة كانت مزدهرة فكريا أو قد  
تكون المدينة فعلا مزدهرة، ولكن أحادية المذهب  
عقيدة وفقها.

مهما كانت مبررات التهم الموجهة  
للراشدي، فإن النتيجة هي أن محنة الراشدي  
توجت بتكفيره بعد أن أراد خوض معركة أكبر  
منه ضد الطرق الصوفية، أصحاب السيادة على  
عقول العامة وضد الفرق الكلامية و المذاهب  
الفقهية، الأمر الذي دفعه إلى الخروج من  
قسنطينة و اعتزال الناس والإقامة بإحدى  
ضواحي المدينة إلى أن وافاه أجله.

ولقد رحل الرجل إلى ربه مخلفا لنا أعمالا  
عديدة ومتنوعة الأغراض و الفنون، من كتب  
ورسائل وأشعار مست ميادين فكرية و أدبية  
عديدة، منها في الفقه وفي أصوله وفي أصول  
الدين (علم الكلام) وفي الفلسفة وعلم الحديث،  
والتفسير وكذلك انتقادات وردود على  
مخالفيه، ومن هذه المؤلفات يذكر لنا الأستاذ  
"عبد الله حمادي":

انغماس الفقهاء والحكام كأطراف في الصراعات  
الفكرية، العقيدية والفقهية، مما يجعلهم  
يستخدمون قواهم و نفوذهم وسلطانهم في  
هذا الصراع، فيحولونه إلى صراع مميت أو يسلط  
على العلماء المخالفين للحكام وفقهائهم كل  
العذاب والهوان، كما إن اشتراك الحكام  
كأطراف في الصراع الفكري، يفقدهم كل  
موضوعية وحياد، فيحولون الصراع الفكري إلى  
استبداد وقع جسدي مع تمسك وتشبث  
بالمذهب الفقهي أو الفرقة الكلامية التي ينتصرون  
لها. وهذا ما حدث "لعبد القادر الراشدي  
القسنطيني" الذي واجه الصوفية وسلطانهم  
على العامة كما واجه المذهب الحنفي وهو  
مذهب السلطة الرسمي، لذلك كله - كما  
يروى الدكتور "حمادي" - عومل بقسوة كبيرة  
و حسد كما طعن في كرامته وشرف حكمته،  
حتى اتهم بالرشوة في المعاملات و بالتجسيم في  
الاعتقادات، مما أساء إلى سمعته ودينه ظاهرا  
وباطنا، سلوكا واعتقادا.

لكن الملاحظ هنا في هذه الفتنة والحنة التي  
تعرض لها الراشدي أنها تُصعّب تصنيف الرجل  
ولو عقديا، نظرا لتباين التهم الموجهة إليه أو  
الفرق التي نُسب إليها، فهي مختلفة إلى درجة  
التناقض، بحيث لا يمكن اجتماع اثنين منها في  
شخص واحد مرة واحدة، كقولنا عن الشيء  
الواحد أن لونه أبيض ولا أبيض في نفس الآن.  
فكذلك الراشدي يتهم بالتجسيم من جهة وبأنه  
معتزلي من جهة أخرى، ومعروف أن المعتزلة ما  
وقعوا في التعطيل إلا لأنهم أرادوا تجنب أي  
شكل من أشكال التشبيه والتجسيم، كما اتهم  
بأنه ظاهري وبأنه معتزلي وبأنه شيعي متأول،  
وهي كلها تهم تزول تلقائيا لاستحالة اجتماعها في

إبراهيم" وهو الشخص الذي أثنى المحقق عليه وردّد اسمه في هذه الرسالة في أكثر من موضع، عرفانا له بجميل فعله، لأنه احتفظ بها سالمة من التلف، ولأنه سلمها إلى من يحسن التصرف فيها من جهة أخرى.

بعد هذا التقديم يبيّن الأستاذ "حمّادي" بأن ظاهرة الدخان والحشيش لم يكن "الراشدي" أول من تطرّق إليها بالدراسة الفقهية، بل هناك كثير من العلماء الذين يبقوه، وصنّفوا لهذا الغرض مؤلفات عناوينها تشهد على هذا السبق، وعلى مساهمتهم في هذا الموضوع، ومن هؤلاء ومؤلفاتهم نذكر هاهنا بعض ما ورد في الدراسة مثل:

1 - "عبد القادر المحب الطبري" المتوفى سنة 1033هـ، له: "رفع الاشتباك عن تناول التباك"

2 - "إبراهيم اللقاني، المالكي" المتوفى سنة 1041هـ، له: "نصيحة الإخوان في اجتناب الدخان"

3 - "أحمد الأنصاري، الحنفي" المتوفى سنة 1043هـ، له: "الرسالة الدخانية"

4 - "محمد بن علان المكي" المتوفى سنة 1051هـ، له: "إعلام إعلام الإخوان بتحريم الدخان"

5 - "محمد الجمالي المغربي" المتوفى سنة 1129هـ، له: "تنبيه الغفلان في منع شرب الدخان"

6 - "عبد الغني النابلسي" المتوفى سنة 1143هـ، له: "الصلح بين الإخوان في حكم إباحتها الدخان"

7 - "عثمان الرومي، الحنفي" المتوفى سنة 1190هـ، له: "رسالة في الدخان"

إلى غير ذلك من المؤلفين والمؤلفات التي تطرقت إلى مسألة الدخان، والتي يحصي منها

\* كتاب طرح فيه سادسة عقائد السنوسي  
\* كتاب متسعة الميدان في إثبات وجه الوزن وآلة الميزان

\* عقد اللآلي المستضيئة لنفي ظلام التلبس  
\* مفاد التحصيل لإعداد السبيل  
\* له أيضا تعليقات وفتاوى واجتهادات ردّ فيها على "سعد الدين التفتازاني".

\* له كتاب، تجديد الإيمان في أواخر الزمان.  
\* له قصيدة يصف فيها استماتة "صالح باي" وأهل المدينة في الدفاع عن قسنطينة.

\* كما له أيضا قصائد في مدح الرسول ﷺ. ومن مؤلفاته هذه الرسالة التي بين أيدينا: "تحفة الإخوان في تحريم الدخان" و التي أفرد لها الأستاذ "عبد الله حمادي" القسم الثاني من رسالته قبل أن يعرضها علينا بنصها الكامل، فأحاط بمحتواها متتبعا لتفاصيلها، مبينا منهج صاحبها في التحريم، والذي اعتمد أساسا على القياس مع الاستعانة بالمنهج التاريخي في تقصّيه لمصدر وتطور حشيشة الدخان حتّى وصولها إلى قسنطينة، وكذا ارتباط هذه المسألة فقهيا بقضايا ومواد أخرى تحتاج إلى وقفات أصولية كمشقبات الحشيش و المخدرات و حتى المنبهات مثل الشاي و القهوة.

وقبل أن يبين لنا هذه المضامين قدّم لنا المحقق في بداية هذا القسم من الكتاب الشكل الخارجي للرسالة (المخطوط) ومصدر حصوله عليها، فالرسالة مكتوبة على كراسة من 53 صفحة من الحجم 21/16. تاريخ نسخها يعود إلى سنة 1290هـ، أي بعد وفاة المؤلف ب 96 عاما مما يجعلها أقدم مخطوط لها. وهي مقسمة إلى: مقدمة ومقصود وخاتمة. أما حصوله عليها فيعود الفضل في ذلك إلى السيد: "بومنجل بن

معروفا بمصر ثم انتقل إلى المغرب الإسلامي، كما تثبت الدراسات نفسها أيضا أن الزهاد هم أول من عرفوه، ويذكر لهذا الغرض اسم الزاهد "حيدر الخراساني" المتوفى سنة 618هـ، والذي عُرف بزهده الشديد وانقطاعه عن الناس سنين طويلة، ولما خرج من خلوته ساح في الأرض فجلب "انتباهه نبتة مورقة تميل بلطف.... فدفعه الفضول إلى تذوق أوراقها، فاستحسن طعمها ولم يتماسك مفعول النشوة التي غشيت أعضائه... فأجمعوا على أنها من النبات المعروف باسم "القنب" ومن ذلك العهد انتشر في بلاد المشرق تعاطيها".

بعد الحديث عن المسكرات من الحشيش، يتطرق الراشدي إلى القهوة والشاي، ليس باعتبارهما مسكرين، وإنما باعتبارهما نبتتين منبهتين، كما أن الراشدي، حسب محقق الرسالة، تطرقه إلى القهوة كان خلافا لمن ربط مفعولها بمفعول الدخان، فهو - أي الراشدي - يرى أن تناول القهوة ينتج نشاطا وطيب خاطر ومعونة على زيادة العمل حتى قيل فيها شعرا:

قهوة البن حلال وشفا  
أيد الله بها أهل الصفا

إن يكن في شربها ريبة  
ما سقوها عند قبر المصطفى  
بعد هذه الجولة عبر محتويات رسالة الراشدي والتي ذكرت منها مقتطفات مختصرة فقط، يعرض علينا الدكتور "حمادي" في القسم الثالث من هذا الكتاب النص الكامل لرسالة الراشدي "تحفة الإخوان في تحريم الدخان"، رسالة مدققة التحقيق، هامشها ثري بالإضافات يعج بالمصطلحات و المفردات الفنية المشروحة، وبأسماء الأعلام

الدكتور "عبد الله حمادي" في دراسته أكثر من: 30 مؤلفا، كما يوجه القارئ إلى مؤلفات لأخرى تعرضت إلى هذه القضية، تُغني الباحث في هذه المسألة وتُقلص عليه مشقة البحث، بعد ذلك يتعرض الأستاذ المحقق إلى مفهوم الدخان كما أورده الراشدي، معلقا عليه ومضيفا إليه معلومات أخرى أثرت الموضوع بحثا وجعلته أكثر طرافة، ونقلته من مجاله الفقهي الصارم إلى مجال علمي أكاديمي، ومن بين ما جاء في هذا الجزء من الدراسة أن الدخان يعود إلى نبات "الطباقي" العربي المنبت، والذي منه اشتق اسم: "التبغ"، وهو المشتهر عند الفرس باسم: "التبناك" وفي تتبعه لأطوار هذه النبتة يرى الدكتور "حمادي" أ، الدخان المقصود في هذه الرسالة هو: "المعروف حاليا باسم "الشمة" أو "النفة" التي توضع في ما يسمى في عهد الراشدي بـ "الحقة"، ثم يضيف بأن الراشدي يرجع دخول هذه النبتة إلى بلادنا بعد السنة الخامسة بعد الألف (1005هـ) من "مالي" بلد تنبكت".

بعد الحديث عن مصدر الدخان وانتقاله إلى المغرب العربي، يتطرق الراشدي حسب المحقق إلى الحديث عن الحشيش ومشتقاته المتباينة - باعتباره من جنس الدخان - والمختلفة التأثير على متعاطيها والمدمن عليها، فيصنفها ويحصبها ويتتبع تأثيراتها السطحية والعميقة حتى تكون فتواه مؤسسة على وقائع ثابتة، وأثناء هذه الدراسة يبين الدكتور "حمادي" بأن الدراسات و النصوص التاريخية تثبت أن ظهور هذا النوع من الحشيش المسكر والمخدر، في العالم العربي، هو أسبق من الدخان بمفهومه المعاصر، كما أن الدراسات التاريخية و الرحلات تثبت أنه كان

التي يبنى عليها قياسه بتحريمه، ثم يبين مضاره كمقدمة أخرى، ويخلص في النهاية إلى أن مضار الدخان و كونه بدعة مستحدثة يؤديان إلى الحكم بتحريمه، ويستدل على ذلك بآيات قرآنية كثيرة، وبأحاديث نبوية تتحدث عن اجتناب المضار والخبائث و المنكرات و البدع ليؤسس عليها الحكم القطعي بالتحريم، ثم يذهب أبعد من ذلك فيعتبر الدخان من جنس العذاب، وقد ورد ذلك في قوله تعالى ﴿يرسل عليكم شواطئ﴾ أي دخان من نار ونحاس، وكذلك يشبه طعام جهنم ﴿ليس لهم اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين﴾ ثم إن النار أولها وآخرها دخان .

و أثناء حديثه عن الدخان وعن رائحته وطعمه، يتعرض الراشدي إلى مسائل أخرى يدعوه إليها سياق الحديث فيذكر البصل والثوم، ثم القهوة والشاي باعتبارهما نبتتين منشطتين. وعلى وجه العموم يسوق الراشدي 15 وجهاً للتدليل على تحريم الدخان، هي باختصار شديد:

- 1 - الدخان بدعة لأن السلف لم يتعارفوه.
- 2 - الدخان يغير البدن على المجرى الطبيعي.
- 3 - المكلف للعبادة، والدخان يخرج العبادة.
- 4 - الدخان نار وجهنم نار حذرنا الله منها.
- 5 - أكل النار كأكّل مال اليتيم
- 6 - الدخان من جنس العذاب.
- 7 - الدخان فيه تشبها بأهل العذاب
- 8 - يشبه طعام أهل جهنم
- 9 - في الشريعة أحلت الطيبات وحرمت

الخبائث.

- 10 - الله جميل يحب الجمال، والطيب يحب الطيب ويكره الخبيث.
- 11 - الخبيثون للخبيثات (الدخان خبيث ومتعاطيه أخبيث).
- 12 - تناوله لعب ولهو.

والفرق، سواء ورد ذكرها في الرسالة أو لم يرد والتي أضافها المحقق في الهامش على سبيل الإيضاح والإضافة وإثراء الموضوع، كما نجد منحين لآخر توجيهات إلى مصادر ومراجع تخدم البحث نفسه، أو تفتح آفاقاً على موضوعات فقهية وفلسفية وأدبية لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع المدروس في هذه الرسالة.

والرسالة كما يبيّن الأستاذ "حمادي"، وبين المؤلف نفسه في المدخل مؤلفة من: مقدمة و مقصود وخاتمة، وقبل المقدمة هناك ديباجة جاءت كمدخل للرسالة يبين فيها المؤلف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو طلب إصدار فتوى حول حكم متعاطي الخشيشة المسماة: "دخان"، وكانت استجابته تلقائية وعلى عجلة، فأصدر فتوى مكتوبة سماها: "منحة الإخوان في تحريم الدخان"، ثم أعاد كتابتها بتأن، متوسعا فيها ومضيفا أشياء لم يقلها من قبل في تلك التي كتبها على عجل، وسماها هذه المرة: "تحفة الإخوان في تحريم الدخان".

يتعرض الراشدي في المقدمة - كما رأينا من قبل - إلى مفهوم الدخان وأنواعه ومصادره، مستدلا في ذلك بآراء الكثير من العلماء، منهم: "الرازي أبو بكر" و"ابن النفيس" وغيرهما، ولقد رأى رأي الرازي في أن الدخان أرض متحللة من الحرارة، لأن الذي يصعد من جوهر الرطب بخار، وكلاهما يصعد عن حرارة .

بعد هذا التقديم يتعرض الراشدي إلى تاريخ ظهور الدخان، وقد رأينا ذلك مع شرح وتحليل الأستاذ "حمادي"، ثم يسعى إلى تبين وتبرئة ساحة الصحابة والسلف من أي صلة لهم بالدخان، ويجعل من هذا الأمر إحدى المقدمات

- 13 - الدخان مضيعة للمال.  
14 - هو ضرر للإسلام ونفع لأهل الكفر.  
15 - هو من جنس المسكر والمفسد والمخدر والمردق.

أثناء حديثه عن الوجه الخامس عشر (المسكر والمفسد والمردق) فصل الراشدي في هذه الحالات وحكم بتحريم تعاطيها، مستدلاً في كل آرائه بأحكام ومواقف باقي العلماء المكفرين أو المحرمين تعاطي الدخان، منهم على سبيل المثال لا الحصر: "عبد الرحمان الفاسي" و"الشيخ زروق" وبعض التونسيين وكثير غيرهم .

أثناء استشهاده بأراء العلماء يلج الراشدي إلى مسائل أصولية معقدة في كيفية الاجتهاد واستنباط الأحكام من الأصول، خاصة من القرآن الكريم معتبراً إياه المصدر الأول والقاعدة الأساسية لكل اجتهاد ولأي حكم فقهي مهما بدت النازلة (الواقعة المراد حكمها الشرعي) جديدة وغريبة عن المجتمع الأول الذي نزل فيه القرآن أو عن الوقائع والمناسبات التي نزلت في حقها الآيات تباعاً مؤلفة القرآن الكريم.

أما خاتمة الرسالة فجاءت مغايرة تماماً للمتكلمين، و المقصود، بحيث انتقل فيها الراشدي من مسألة الخان كمسألة فقهية إلى مسألة أعم وأهم وهي مسألة كلامية فلسفية تتعلق بمعنى السعادة، ومن يحق عليه اسم وحكم "السعيد" وكذا معنى الشقاء ومن ينسحب عليه اسم وحكم "الشقي". فرأى بأن هذه المسألة تشكل نقطة خلاف بين المتكلمين، ف"الماتوريدية" يرون أنّ السعادة تعني مطلق الإيمان في حين يرى "الأشاعرة" تعني إيمان الموافقة، أي الإيمان الذي يكون عليه الإنسان حين يلاقي ربه، بمعنى قد يكون الإنسان كافراً في جلّ فترات حياته، وإذا مات على إيمان ولو

لفترة زمنية قصيرة يكون سعيداً بحكم أنه انتقل إلى ربه وهو مؤمن. وبهذا المعنى الماتوريدي و الأشعري "للإيمان" يكون الشقاء هو: على التوالي الكفر المطلق عند "الماتوريدية" وكفر "الموافقة" عند "الأشاعرة". ومعنى هذا أنه قد يسعد الشقي وقد يشقى السعيد بحكم اعتبار الكفر والإيمان بالموافقة، بينما هو مطلق، لا يتغير عند "الأشاعرة". في ظل هذا الاختلاف في تحديد معنى السعادة والشقاء، يختار الراشدي الأخذ بمفهوم السعادة "الأشعري"، ويدعم اختياره هذا بنصوص شرعية قرآن وحديثاً، ويأخذ بمفهوم الشقاء الماتوريدي والأشعري معاً، وبذلك تكون السعادة عنده مرتبطة بالإيمان من جهة ولها صفة الأزلية من جهة أخرى بينما يبقى باب التوبة مفتوحاً للكافر حتى ينال السعادة بتذوقه لحلاوة الإيمان، وبهذا التوفيق بين مذهبين هما في الحقيقة - كما أشار إلى ذلك الدكتور "عبد الله حمادي" في تعريفه بالماتوريدية - فريقان متشابهان إلى حدّ كبير، ولو جمعتهما الظروف الجغرافية والسياسية لشكلا مذهباً واحداً هو مذهب أهل السنة والجماعة. ولكن المؤكد في تطرقه لمسألة السعادة هو أن آراء الراشدي تختلف عن آراء "المعتزلة" في مفهوم "السعادة"، لأن "المعتزلة" ربطوا "السعادة" ب"الإيمان"، وفصلوا الإيمان عن المعصية، بحيث يصبح "الشقي" هو "العاصي" حتى ولو كان على الإيمان، والمنزلة بين المنزلتين لا تجعل الفاسق مؤمناً، بل هو إلى درجة الكفر أقرب، ولهذا اختار الراشدي الموقف السني (الأشعري والماتوريدي) ويريد أن يقول بذلك أنّني سني أميل إلى طريقة السلف في اعتماد القرآن والسنة على رأس الأدلة، أو كمنهج قبل

ارتباطا حرفيا بالإيمان، لهذا يقرنها صراحة بأركان الإيمان المعروفة: الإيمان بالله وبملائكته و بكتبه وبرسله وبالقضاء والقدر خيره وشره في نهاية المطاف لا يسعنا إلا أن نهني الأستاذ عبد الله حمادي بهذا المولود العلمي الذي فتح الباب على دراسات علمية أكاديمية جادة لموروثنا الفكري في فترة لا تزال مجهولة وكشف لنا النقاب عن جانب آخر من جوانب شخصية الدكتور عبد الله حمادي الأديب، الشاعر، المؤرخ المترجم، والمحقق.

أي منهج آخر، ولهذا الموقف بالذات جاء مبحث السعادة عند الراشدي مبحثا جافاً لا نجد فيه الطرافة التي نذوقها عند قراءتنا مثلاً للقسم الرابع من كتاب "ابن سينا" "الإشارات والتشبيهات" والذي يعطي فيه للسعادة معان متعددة أسماها تحقيق الكمال والعمل على الاتصال بالله في الدنيا وفي الآخرة والترفع عن كل ما يحط من قيمة الإنسان ويحد من سلطانه، ومن قدراته الإلهية المثبثة فيه بفعل الخلق الأول. وهو الأمر الذي نفتقده في حديث الراشدي عن السعادة حيث جعلها مرتبطة